الفَصْلُ التّاسِعَ عَشَرَ

التَّكْذِيبُ لِبَعْضِ الفِرَقِ

(١)
قصيدَتان ومَقْطوعَتان لِعُبَيْدِ اللهِ بن الحُرِّ وسُراقة بن مِرْداسٍ وأعْشَى هَمْدَانَ والمُتوكِّلُ اللَّيْثي

١ - قالَ عُبَيْدُ اللهِ بنُ الحُرِّ الجُعْفِيُّ يَتَّهِمُ المُخْتارَ بنَ أبي عُبَيْدٍ الثَّقَفيَّ بالكَذِب:

تاريخ الرسل والملوك ٦: ١٣٠
والأخبار الطوال ص: ٢٩٧

١- وما تَرَكَ الكَذَّابُ مِنْ جُلِّ مَالِنَا ... ولا الزُّرْقُ مِنْ هَمْدانَ غَيْرَ شَرِيدِ
٢- أفي الحقِّ أنْ تَنْهَبْ ضِياعيَ شاكرٌ ... وتأمَنَ عِنْدي ضَيْعةُ ابنِ سَعِيدِ
٣- أَلَمْ تَعْلَمي يا أُمَّ تَوْبَةَ أنَّني ... عَلَى حَدَثانِ الدَّهْرِ غَيْرُ بَليدِ

١- تَرَكَ: أبْقَى. والكَذَّابُ: لَقَبُ المختارِ بنِ أبي عُبَيدٍ. (انظر أنساب الأشراف ٦: ٣٧٨، ٤٠٠، وسير أعلام النبلاء ٣: ٥٣٨، والإصابة ٣: ٥١٩). وجُلُّ الشيء: مُعْظَمُهُ. ومَالُ الرَّجُلِ: إبِلُهُ. والزُّرْق: العرب تُسَمِّي الأعْداءَ زُرْقَ العُيون، كأنَّهم الأعاجم، لأنَّهمْ أعْداءُ العرب. (نقائض جرير والأخطل ص: ١٠١). وهَمْدَانُ: يعني هَمْدَانَ بنَ مالكِ بنِ زَيْدِ بنِ أوْسَلَةَ بنِ ربيعةَ ابنِ الخِيارِ بنِ مالكِ بنِ زَيْدِ بنِ كَهْلانَ بنِ سَبأ. (جمهرة أنساب العرب ص: ٣٩٢). والشَّريد: البَعيرُ الهارِبُ المُفْرَدُ. وكانت هَمْدانُ وثَبَتْ مع المختارِ، فأحْرَقُوا دارَ ابنِ الحرِّ، وانتهَبُوا ضَيْعَتَهُ بالجُبَّةِ والبُداةِ من سواد الكوفة. (تاريخ الرسل والملوك ٦: ١٣٠).

٢- أفي الحقِّ: أي أفي الحكْمِ العَدْلِ المَرْضِيِّ. وتَنْهَبُ: تأخُذُ وتَسْتبيحُ، وسَكْنُهُ للضَّرُورة، والضَّيْعةُ ههنا: العَقارُ والأرْضُ المُغَلَّةُ ومالُ الرجلِ من النَّخْلِ والكَرْم. وشاكر: يعني بني شاكرِ ابنِ ربيعةَ بن مالك، وهم بَطْنٌ ضَخْمٌ من هَمَدانَ، منهم عبدُ اللهِ بنُ كاملِ بنِ عمرو بنِ الحارثِ بنِ عُلْبَةَ بنِ دَهْمةَ بنِ شاكرِ بنِ ربيعةَ، صاحبُ شُرْطةِ المختار. (جمهرة أنساب العرب ص: ٣٩٧). وتأمَنُ: تَسْلَمُ. وابنُ سعيدٍ: يعني عبدَ الرحمنِ بنَ سعيدِ بنِ قَيْسٍ الهَمْدانيَّ، وقد سارَ ابنُ الحُرِّ إلى ضياعِهِ بماهِ الكوفة، وهي دِينَوَرُ، فأنْهَبها وأنْهَبَ ما كان لهمدانَ بها، أي أباحَهُ. (تاريخ الرسل والملوك ٦: ١٣٠).

٣- أُمُّ تَوْبَةَ: امرأةُ عبيدِ اللهِ بنِ الحرِّ، وهي أُمُّ سَلَمةَ الجُعْفِيَّةُ. (تاريخ الرسل والملوك ٦: ١٢٩). وحَدَثانُ الدَّهْرِ وحَوادِثُهُ: نُوبُهُ وما يَحْدُثُ منه، أي نَوازِلُهُ ومصائبُهُ، واحدُها حادثٌ. ورجلٌ بليدٌ: إذا لم يكنْ ذكيّاً، من البلادةِ، وهي ضدُّ النَّفاذِ والذَّكاءِ والمَضاء في الأمورِ. يعني أنه ذكيٌّ مُتوقِّدٌ ماضٍ سريعٌ في الأمُور.

٤- أشُـدُّ حَيـازِيمي لِكُـلِّ كَرِيهَـةٍ وإنّي علـى مـا نـابَ جِـدُّ جَلِيـدِ
٥- فإنْ لَمْ أُصَـبِّحْ شـاكراً بِكَتِيبَـةٍ فَعالَجْـتُ بـالكَفَّيْنِ غُـلٌّ حَدِيـدِ
٦- همُ هَدَمُوا دَاري وقَادُوا حَلِيلتي إلى سِـجْنِهِمْ والمسـلمونَ شُـهُودِي
٧- وهمْ أعْجَلُوها أنْ تَشُدَّ خِمَارَهـا فيـا عَجَبـاً هـلِ الزَّمـانُ مُقِيـدي
٨- فما أنا بابْنِ الحُـرِّ إنْ لَمْ أرُعْهُـمُ بِخَيْـلٍ تَعَـادَى بالكُمـاةِ أسُـودِ
٩- وما جَبُنَتْ خَيْلي ولكنْ حَمَلْتُهـا علـى جَحْفَـلٍ ذي عُـدَّةٍ وعَدِيـدِ

٤- الحَيازيمُ: ضُلُوع الفؤادِ، واحدُها حَيْزُومٌ. والكريهةُ: النَّازلةُ والشِّدَّةُ في الحَرْب. ويقـال: شَدَّ حَيْزُومَهُ وحَيازيمَهُ للأمْرِ، إذا وَطَّنَ نَفْسَهُ عليه، أي حَملها عليه. ونابَ: نَزَلَ وأصابَ. وجِـدُّ جليدٍ: بَلَغَ الغايةَ في الجَلَدِ، أي القُوةِ والصَّبْرِ والشِّدَّةِ والصَّلابة. وقال سيبويه: «وقالوا: هذا العالمُ جِدُّ العالمِ، وهذا عالمٌ جِدٌّ عالمٍ. يريد بذلك التَّناهي وأنه بلغَ الغايةَ فيما يَصِفُهُ به من الخِـلالِ». (اللسان: جدد).

٥- صَبَّحَهُمْ بالخيل: أغار بها عليهم صباحاً. والعربُ تُسَمِّي يَوْمَ الغارةِ يومَ الصَّباحِ، لأنهـم أكثر ما يُغيرونَ عندَ الصَّباح. والكتيبة: القطعةُ العَظِيمةُ من الجيشِ. وعالجتُ: قاسَيْتُ وعانيـتُ. والغُـلُّ: القَيْـدُ الذي يَجْمَعُ يـدَ الأسـير إلى عُنُقِهِ، وهـو الجامعـة. وفي التنـزيـل العزيز: ﴿إِنَّا جَعَلْنَا فِيٓ أَعْنَاقِهِمْ أَغْلَٰلًا﴾. [يس: ٨]. هي الجوامع تَجْمَعُ أيديهم إلى أعْناقهم. (اللسان: غلل).

٦- قَادُوا حليلتي: جَرُّوها وسَحَبُوها. وحليلةُ الرجل: امْرأتُهُ.

٧- أعْجَلُوها: استَحَثُّوها، أي لم يُمْهِلُوها. وتَشُدُّ خِمارَها: تَضَـعُهُ وتَعْقِـدُهُ. والخِمـارُ: النَّصِيفُ، وهو ما تُغَطِّي به المرأةُ رأسَها. المُقِيدُ: المُقْتَصُّ، يقال: أقَدْتُ القاتلَ بالقتيـل، أي قَتَلْتُـهُ به، من القَوَدِ، وهو القِصاصُ، وهو قَتْلُ النَّفْسِ بالنَّفْسِ.

٨- رَاعَهُ: أخَافَهُ وأفْزَعَهُ. وتَعادَى: تَتَعادَى، أي تَتَبارَى في العَدْوِ. والكُماة: جمع كَمِيٍّ، وهو الشُّجاعُ المتكَمِّي في سلاحِهِ، لأنه كَمَى نَفْسَهُ، أي سَتَرَها بالدِّرْعِ والبَيْضَةِ. والأُسُودُ: الشُّجْعانُ، أي صارُوا كالأُسود في جراءَتِها وأخْلاقِها.

٩- جَبُنَتْ: نَكَصَتْ وأحْجَمَتْ وتـأخَّرَتْ وتَهَيَّبَـتْ. وحَمَلْتُهـا: أرَدْتُهـا وأكْرَهْتُهـا. والجَحْفَلُ: الجيشُ الكثيرُ، ولا يكونُ ذلك حتى يكونَ فيه خَيْلٌ. والعُدَّةُ: العَتادُ، وهو ما أعَدَّهُ الرَّجُلُ من السِّلاحِ والدَّوابِّ وآلةِ الحرْبِ للجهاد. والعَديدُ: الكَثْرَةُ.

٢- وقالَ سُراقَةُ بنُ مِرْداسٍ البارقيُّ يَسْخَرُ من ادِّعاءِ المُختارِ بنِ أبي عُبَيْدٍ الثَّقَفيِّ أنَّ الملائكة تُقاتِلُ معه، وأنَّ الوَحْيَ يَتَنَزَّلُ عليه:

ديوان سراقة البارقي ص: ٧٨
وأنساب الأشراف ٦: ٤٠١
وتاريخ الرسل والملوك ٦: ٥٥
والأغاني ٩: ١٣

١- ألاَ أبْلِغْ أبا إسْحَاقَ أنِّي ... رأيْتُ البُلْقَ دُهْماً مُصْمَتاتِ
٢- كَفَرتُ بوَحْيِكُمْ وجَعَلْتُ نَذْراً ... عَلَيَّ قِتالَكُمْ حتَّى المَمَاتِ
٣- أُرِي عَيْنَيَّ ما لَمْ تَرْأياهُ ... كِلاَنَا عالِمٌ بالتُّرَّهاتِ
٤- إذا قالُوا أقُولُ لهم كَذبْتُمْ ... وإنْ خَرَجُوا لَبِسْتُ لهم أدَاتِي

١- أبو إسحاق: كُنْيةُ المختارِ بنِ أبي عُبَيْدٍ. (الاستيعاب ٤: ١٤٦٥). والبُلْقُ: جمع أبْلَقَ، وهو الذي فيه سوادٌ وبياضٌ. والدُّهْمُ: جمع أدْهَمَ، وهو الأسْودُ يكون في الخَيْلِ والإبل وغيرهما. وفَرَسٌ مُصْمتٌ، وخيل مُصْمتَاتٌ: إذا لم يكنْ فيها شِيَةٌ، وكانت بُهْماً. وأدْهَمُ مُصْمَتٌ: لا يُخالِطُهُ لونٌ غير الدُّهْمةِ. أي أنَّ دُهْمتَها خالصةٌ لا يَشُوبُها لونٌ آخر. يشير إلى قَوْلِهِ لِشيعةِ المختار لَمَّا أسَرُوهُ: «وأنتم أسَرْتُموني! ما أسَرني إلاَّ قَوْمٌ على دَوَابٍّ بُلْقٍ، عليهم ثيابٌ بِيضٌ! فقال المختار: أولئك الملائكةُ. فأطْلَقَهُ»! (تاريخ الرسل والملوك ٦: ٥٥).

٢- كفرتُ بوحْيِكم: أنكَرْتُهُ وجَحَدْتُ به. والنَّذْرُ: الشيءُ الذي تُوجِبُهُ على نَفْسِكَ تَبَرُّعاً من عبادةٍ أو صَدَقةٍ أو غيرِ ذلك.

٣- تَرْأياه: تَرَياه. وفي أنساب الأشراف ٦: ٤٠١، وتاريخ الرسل والملوك ٦: ٥٥، والأغاني ٩: ١٣: «ما لم تُبْصِراهُ».

٤- الأداةُ: أداةُ الحرْبِ، أي السلاح. يعني أُجادِلُهُمْ بلساني وأقاتِلُهمْ بسَيْفي.

٣- قالَ المختارُ بنُ أبي عُبَيْدٍ الثَّقَفِيُّ لآلِ جَعْدَةَ بنِ هُبَيْرَةَ بنِ أبي وَهْبٍ المَخْزُوميِّ، وأمُّ جَعْدَةَ أمُّ هانىء بنتُ أبي طالبٍ: ائْتُوني بكُرسيِّ عليِّ بنِ أبي طالبٍ. فقالوا: لا، واللهِ ما له عندنا كُرْسيٌّ! قال: لا تكونوا حَمْقَى، وائتوني به! فَظَنَّ القومُ عندَ ذلك أنهم لا يأتُونَهُ بكُرْسيٍّ، فَيَقُولُونَ: هذا كرسيُّ عليٍّ إلاَّ قَبلَهُ منهم. فجاؤوه بكرْسيٍّ، فقالوا: هذا هو. فخَرَجَتْ شِبامُ وشاكرٌ ورؤُوسُ أصْحابِ المختارِ، وقد عَصَّبُوهُ بخِرَقِ الحريرِ والديباج. فكان أوَّلُ مَنْ سَدَنَ الكُرْسيَّ حينَ جيءَ به مُوسَى بنَ أبي موسَى الأشعريُّ، وأُمُّهُ ابنةُ الفَضْلِ ابنِ العباسِ بنِ عبدِ المطَّلب. ثم إنه دُفِعَ إلى حَوْشبٍ اليُرْسَميِّ، يُرْسَمِ بنِ حِمْيَرَ، وهم في هَمْدانَ، فكان خَازِنَهُ وصاحِبَهُ حتى هلك المختار. وكان أصحاب المختارِ يعكفون عليه، ويقولون: هو بمنزلةِ تابوتِ مُوسَى فيه السَّكينةُ، ويَسْتَسْقُونَ به ويَسْتَنْصِرُونه ويُقَدِّمونه أمامَهم إذا أرادوا أمْراً. فقال أعْشَى هَمْدانَ يُنْكِرُ ذلك ويَهْزأ به:

أنساب الأشراف ٦: ٤١٣
والحيوان ٢: ٢٧١
وتاريخ الرسل والملوك ٦: ٨٣
والكامل في التاريخ ٤: ٢٥٩

١- شَهِدْتُ عليكُمْ أنكمْ خَشَبِيَّةٌ وإني بكمْ يا شُرْطَةَ الكُفْرِ عارِفُ

٢- وأُقْسِمُ ما كُرْسِيُّكُمْ بِسكينةٍ وإنْ ظَلَّ قَدْ لُفَّتْ عليهِ اللَّفائفُ

١- الخَشَبِيَّةُ: هم من السَّبئيَّةِ، وهم من غُلاةِ الرَّافضة، أرْسَلَهم المختارُ بن أبي عُبَيْدٍ لِنُصْرَةِ محمدِ بنِ الحَنفيَّةِ، حين سَجَنَهُ عبدُ الله بنُ الزبير بمكة، وكان عليهم أبو عبد الله الجُدَليُّ. فدخَلَ مكَّة ومع أصْحابِهِ الخَشَبُ، وكان المختارُ أمرهم بذلك. فَسُمُّوا الخشبيَّة من أجْلِ ذلك. (أخبار الدولة العباسية ص: ١٠٤).

٢- السَّكينة: الطُّمأنينة. ولُفَّتْ عليه اللَّفائف: عُصِبَتْ عليه الخِرَقُ من الحريرِ والديباج. واللَّفائف: جمع لِفافةٍ، وهي ما يُلَفُّ على الرِّجْل وغيرها.

٣- وأنْ لَيْسَ كالتَّابوتِ فِينَا وإنْ سَعَتْ ... شِبامُ حَوالَيْهِ ونَهْدٌ وخَارِفُ

٤- وإنْ شاكِرٌ طافَتْ بِهِ وتَمَسَّحَتْ ... بأعْوادِه أوْ أدْبَرَتْ لا يُسَاعِفُ

٥- وإني امْرُؤٌ أحْبَبْتُ آل محمَّدٍ ... وآثَرْتُ وَحْياً ضُمِّنَتْهُ الصَّحائفُ

٣- التَّابُوتُ: الصُّنْدُوقُ. وسَعَتْ حَوالَيْهِ: طافَتْ به ودَارَتْ حوله. وشِبام: يعني شِبامَ بنَ أسْعَدَ بنِ جُشَمَ بنِ حاشِدِ بنِ جُشَمَ بنِ خَيْرانَ بنِ نَوْفِ بن هَمْدانَ. (جمهرة أنساب العرب ص: ٤٧٥). ونَهْدٌ: يعني نَهْدَ بنَ زَيْدِ بنِ لَيْثِ بنِ سُودِ بن أسْلَمَ بن الحافي بن قضاعة. (جمهرة أنساب العرب ص: ٤٤٦). وخارِفٌ: هو مالكُ بنُ عبدِ اللهِ بنِ كثيرِ بنِ مالكِ بنِ جُشَمَ بنِ حاشدٍ. (جمهرة أنساب العرب ص: ٤٧٥). يعني ليس في الكرسي سكِينةٌ كالتَّابوت. وفي التنزيل العزيز: ﴿وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ آيَةَ مُلْكِهِ أَن يَأْتِيَكُمُ التَّابُوتُ فِيهِ سَكِينَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ﴾. [البقرة: ٢٤٨]. أي قال نبيُّ بني إسرائيل لهم: إنَّ الله بَعَثَ طالوتَ مَلِكاً لهم، وإنَّ آيةَ مُلْكِهِ أنْ يأتيهم التَّابُوتُ. (البحر المحيط ٢: ٢٦٠).

٤- شاكرٌ: يعني بني شاكرِ بنِ ربيعةَ بنِ مالِكٍ، وهم بَطْنٌ ضَخْمٌ من هَمْدانَ. (جمهرة أنساب العرب ص: ٣٩٧). وتَمسَّحَتْ بأعْوادِه: أمَرَّتْ أيْدِيَها عليه مُتبرِّكةً به. ولا يُسَاعِفُ: لا يُعِينُ على قَضاءِ الحاجة، من الإسعافِ والمُساعفةِ، وهي المُساعدةُ والمواتاةُ والقُرْبُ في حُسْنِ مُصافاةٍ ومُعاونةٍ.

٥- يعني أنه مَحَضَ الوُدَّ أهْلَ بيتِ رسولِ اللهِ ﷺ، وآمن بالقرآن الكريم.

٤- وقالَ المُتوكّلُ اللَّيْثيُّ يَكْفُرُ بكرسيِّ المُخْتارِ بنِ أبي عُبَيْدٍ الثَّقَفيِّ، ويَسْخَرُ من القبائلِ الّتي تُطِيفُ به:

تاريخ الرسل والملوك ٦: ٨٤

١- أبْلِغْ أبا إسْحاقَ إنْ جِئْتَهُ ... أنّي بكُرْسِيِّكُمْ كافِرُ

٢- تَنْزُو شِبامٌ حَوْلَ أغْوادِهِ ... وتَحْمِلُ الوَحْيَ لهُ شاكِرُ

٣- مُحْمَرَّةٌ أعْيُنُهُمْ حَوْلَهُ ... كأنَّهُن الحِمَّصُ الحادِرُ

١- أبو إسْحاقَ: كُنْيةُ المختارِ بنِ أبي عُبَيْدٍ. (الاستيعاب ٤: ١٤٦٥).

٢- تَنْزُو: تَثِبُ. وشِبام: يعني بني شبام بنِ أسْعَدَ بنِ حُشَمَ بنِ حاشدِ بنِ جُشَم بنِ خَيْرات بنِ نَوْفِ بنِ هَمْدانَ. (جمهرة أنساب العرب ص: ٤٧٥). وشاكرٌ: يعني بني شاكرِ بنِ ربيعة بنِ مالكِ بنِ معاويةَ بنِ صَعْبِ بنِ دَوْمانَ بنِ بكيلِ بن حُشَمَ بنِ خَيْرانَ بنِ نَوْفِ بنِ هَمْدانَ. (جمهرة أنساب العرب ص: ٤٧).

٣- الحادِرُ: السَّمينُ الغَليظُ. يعني أنّ عُيونَهُمْ احْمَرَّتْ وَوَرِمَتْ من كَثْرَةِ البكاءِ، فصارت كحبِّ الحِمَّصِ السَّمينِ الغَليظ.

٥- وقالَ المُتوكِّلُ اللَّيْثيُّ يَتَّهِمُ المُخْتارَ بنَ أبي عُبَيْدٍ الثَّقَفيَّ بالدَّجَلِ، ويُكَذِّبُ نُزُولَ الوَحْيِ عليهِ:

تاريخ الرسل والملوك ٦: ٧٠

١- قَتَلُوا حُسَيْناً ثمَّ هُمْ يَنْعُونَهُ ... إنَّ الزَّمانَ بأهْلِهِ أَطْوَارُ

٢- لا تَبْعَدَنْ بالطَّفِّ قَتْلَى ضُيِّعَتْ ... وسَقَى مَساكِنَ هَامِها الأَمطارُ

٣- ما شُرْطَةُ الدَّجَّالِ تَحْتَ لِوَائِهِ ... بأَضَلَّ مِمَّنْ غَرَّهُ المُخْتَارُ

٤- أبني قِسِيٌّ أوْثِقُوا دجَّالَكُمْ ... يَجْلُو الغبارُ وأنْتُمُ أحْرارُ

١- حُسَيْنٌ: يعني الحُسَيْنَ بنَ عليِّ بنِ أبي طالب. ويَنْعُونَهُ ههنا: يَنْدُبُونَهُ، أي يَبْكُونَهُ ويُعَدِّدُونَ مَحاسِنَهُ. وقَوْلُهُ: «إنَّ الزَّمانَ بأهْلِهِ أَطْوارٌ»: أي مُتَغَيِّرٌ مُتَقَلِّبٌ يَنْتَقِلُ من الصَّلاحِ إلى الفَسادِ، ولا يَدُومُ على حال. وفي حديثِ سُطَيْحٍ: «فإنَّ ذا الدَّهْرَ أطوارٌ دَهارير». الأطوار: الحالاتُ المختلفة والتَّاراتُ والحُدُودُ، واحدُها طَوْرٌ. أي مرةً مُلْكٌ ومَرَّةً هُلْكٌ، ومَرَّةً بُؤْسٌ ومَرَّةً نُعْمٌ. (اللسان: طور).

٢- يقال: بَعِدَ يَبْعَدُ بَعَداً في الهَلاكِ، وبَعُدَ يَبْعُدُ بُعْداً في المكانِ والنَّأي. (تاج العروس: بعد). وقال المرزوقي: «لا تَبْعَدْ: لا تَهْلِك، يقال: بَعِدَ إذا هَلَكَ، وبَعُدَ إذا نَأى. وكانوا يَدُلُّونَ بهذه اللَّفْظَةِ عند النُّدْبة بها على مساس الحاجة إلى حياة المَنْدُوب، وقلة الاسْتغناء عنه. وإذا كان كذلك فالوَجْهُ أن يُنْدَبَ مَنْ كان محمودَ الحياةِ وعزيزَ الفِقْدان». (شرح ديوان الحماسة ١: ١٩٢، وانظر ٢: ٨٩٢، ٩٠٥، ٩٤٦، ١٠٠٧، ٣: ١٠٤٦). وقال: «لا تَبْعَدُوا، وإنْ كان لفظهُ لفْظَ الدُّعاء فهو جارٍ على غير أصْلِهِ،...، إنما هو تَحَسُّرٌ وتَوَجُّعٌ». (شرح ديوان الحماسة ٢: ٩١٣). والطَّفُّ: أرْضٌ من ناحية الكوفةِ في طريق البريَّة، كان فيها مقتل الحسين بنِ عليٍّ رضي الله عنه. وقَتْلَى: جمع قتيل، مثل صَرْعَى وصَريع. وضُيِّعَتْ: تركَتْ وأهْمِلَتْ. وسَقَى: دُعاءٌ لها بالسُّقيا. ومَساكِنَ هامِها: أي قُبُورُها. والهامُ: عِظامُ المَوْتَى، واحِدُها هامَةٌ.

٣- الدَّجَّالُ: الكذَّاب. يعني المختارَ بنَ أبي عبيدٍ. وتَحْتَ لوائِه: أي الذين انْضَوَوْا تحتَ رايتِهِ وائْتَمَرُوا بأمْرِهِ. وأضَلُّ: أغْوَى، من الضَّلال، وهو الغَيُّ، ضدُّ الهُدَى والرَّشادِ. وغَرَّهُ: خَدَعَهُ وأطْمَعَهُ بالباطل.

٤- قِسِيٌّ: هو ثقيفٌ. وأوْثَقَهُ في الوَثاق: شَدَّهُ، أي قَيَّدَهُ. ويَجْلُو الغُبارُ: يَنْقَشِعُ. يريد: تنكشف العَمايةُ وتَزُولُ الضَّلالةُ. والأحْرارُ: جمع حُرٍّ، وهو من النَّاسِ أخْيارُهم وأفاضِلُهم.

٥- لوْ كَانَ عِلْمُ الغَيْبِ عندَ أخيكُمُ لَتَوطَّأتْ لَكُمُ بهِ الأحْبارُ
٦- وَلكَانَ أمْراً بَيِّناً فيما مَضَى تأتي بهِ الأَنْباءُ والأَخْبارُ
٧- إنِّي لأَرْجُو أنْ يُكَذِّبَ وَحْيَكُمْ طَعْنٌ يَشُقُّ عَصَاكُمُ وحِصَارُ
٨- ويَجيئكُمْ قَوْمٌ كأَنَّ سُيُوفَهُمْ بأكُفِّهم تَحْتَ العَجاجَةِ نارُ
٩- لا يَنْثَنُونَ إذَا هُمُ لاقَوْكُمُ إلاَّ وَهَامُ كُماتِكُمْ أعْشارُ

٥- تَوَطَّأتْ: يريد أنْبأتْ وأخْبَرتْ. والأحبارُ: العُلماءُ، الواحدُ حبْرٌ بكسر الحاءِ وفَتْحِها، قال الجوْهَرِيُّ: وبالكسر أفْصَحُ.

٦- الأمْرُ البَيِّنُ: الوَاضِحُ الذي لا لَبْسَ فيه ولا خَفاء. وتأتي به: تَحْمِلُهُ وتَسيرُ به.

٧- الطَّعْنُ: الشَّجْرُ والقَرْعُ بالرُّمْحِ. ويَشُقُّ عَصَاكُمْ: أي يُفَرِّقُ اجْتماعَكُمْ وائتلافكم. والعَصَا تُضْرَبُ مَثَلاً للاجتماعِ، ويُضْرَبُ انْشِقاقُها مثلاً للافْتِراقِ الذي لا يكون بعدَهُ اجتماعٌ، وذلك لأنها لا تُدْعَى عصاً إذا انْشَقَّتْ. والحِصارُ: المُحاصرة، وهي التَّضْيِيقُ عليهم والإحاطةُ بهم.

٨- العجاجة: واحدةُ العَجاجِ، وهو من الغبار ما ثَوَّرَتْهُ الرِّيحُ. يُشَبِّهُ السُّيوفَ وهي تَلْمَعُ في غُبارِ الحَرْبِ بالنَّارِ المُتَّقِدةِ.

٩- يَنْثَنُونَ: يَنْعَطِفُون، أي يَرْتَدُّون ويَنْقَلِبُونَ. والهامُ: جمعُ هامةٍ، وهي الرأسُ. والكُماة: جمع كَمِيٍّ، وهو الشُّجاعُ المتكَمِّي في سِلاحِهِ، لأنه كَمَى نَفْسَهُ، أي سَتَرَها بالدِّرْعِ والبَيْضَةِ. والأعْشارُ: جمع عُشْرٍ، وهو جُزْءٌ من عَشَرةٍ. يعني ورؤوس شجْعانهم مُفَلَّقَةٌ مُمَزَّقَةٌ تَمْزيقاً.

(٢)
قَصَائِدُ للحُصَيْنِ بنِ حَفْصَةَ والصَّلْتانِ العَبْدِيِّ والطُّفَيْلِ بنِ عَامِرٍ

١- هَمَّ قَطَرِيُّ بنُ الفُجاءَةِ بقَتْلِ الحُصَيْنِ بنِ حَفْصَةَ السَّعْدِيِّ، لأَنَّهُ أَنْكَرَ عليه قَتْلَهُ لابنِ عَمِّهِ عامرِ بنِ عمرٍو السَّعْدِيِّ. ثم خَشِيَ قَطَرِيٌّ أنْ يَلْتاثَ عليهِ عسكَرُهُ إنْ قَتَلَ الحُصَيْن، فَسَكَتَ عنه. فَهَرَبَ الحُصَيْنُ في جماعةٍ من الأزارقةِ إلى المُهَلَّبِ بن أبي صُفْرَةَ، فاسْتأمَنُوهُ، فأمَّنَهُمْ وأحْسَنَ جوارَهم. فقالَ الحُصَيْنُ يَتَّهِمُ قَطَرِيًّا بالضَّلالةِ، ويُعْلِنُ تَوْبَتَهُ ورُجُوعَهُ إلى الجماعةِ:

كتاب الفتوح ٧: ٥٩

وديوان شعر الخوارج ص:١١٨

١- قَدْ قُلْتُ لَمَّا أَرْهَجَتْ لي عجاجَةٌ ... هَوَى قَطَرِيٌّ وَسْطَها يَتَذَبْذَبُ

٢- فيا قَطَرِيُّ بنَ الفُجاءةِ ما لنَا ... جَوابٌ لَحَاكَ اللهُ إلاَّ المُشَطَّبُ

٣- فلمَّا أَبَى إلاَّ اللِّجاجَ بقَتْلِنَا ... نَظَرْتُ وكانَ المُسْتَجارَ المُهَلَّبُ

٤- عَفُوٌّ عَنْ الذَّنْبِ العَظِيمِ كأَنَّهُ ... لِمَنْ لَيْسَ يَرْجُو العَفْوَ عن ذَنْبِهِ أبُ

١- أرْهَجَتْ: ثارَتْ وسَطَعَتْ. والعَجاجَةُ: واحدةُ العَجاجِ، وهي من الغُبارِ ما ثَوَّرَتْهُ الرِّيحُ. وهَوَى: سَقط. ويَتَذَبْذَبُ: يَضْطَرِبُ، من الذَّبْذبة، وهي الحَركةُ والاضْطِرابُ وتَرَدُّدُ الشيءِ المُعلقِ في الهواءِ.

٢- لَحَاهُ اللهُ: قَبَّحَهُ ولَعَنَهُ، وهو دعاءٌ عليه. وسَيْفٌ مُشَطَّبٌ: فيه شُطَبٌ، وهي طرائِقُهُ.

٣- أَبَى: لم يَرْضَ ولم يُرِدْ. واللِّجاجُ: التَّمادي في الأمْرِ والإلحاحُ عليه، يقال: لَجَّ في الأمر، أي تَمادَى عليه وأَبَى أنْ يَنْصَرِفَ عنه. ونظرْتُ: تَفكَّرْتُ وتَدَبَّرْتُ، أي تأمَّلْتُ وتَفرَّسْتُ. واسْتَجارَهُ: سألَهُ أنْ يُجيرَهُ، أي يَمْنَعهُ ويُؤمِّنَهُ، فهو مُسْتَجارٌ به.

٤- العَفُوُّ: الغَفُور الصَّفُوحُ، وهو فَعُولٌ من العَفْوِ، وهو من أبْنِيةِ المُبالغة. والذَّنْبُ: الإثْمُ والجُرْمُ والمَعْصِيَةُ. ولَمِنْ ليسَ يَرْجُو العَفْوَ: أي مَنْ يَئِسَ منه وفَقَد الأمَلَ فيه. والعَفْوُ: التَّجاوزُ عن الذَّنْبِ وتَرْكُ العِقابِ عليه. وأبٌ: أي رحيمٌ عَطُوفٌ كالأب.

٥- عُقُوبَتُهُ فيما يُعاقِبُ غيرُهُ ... عليهِ بمَصْقُولِ الظُّباحين يَعْضَبُ
٦- يُعاتِبُهُ المَرْءُ الشَّفيقُ نَصِيحةً ... يَزِيدُهُمُ عَفْواً إذا القَوْمُ أذْنَبُوا
٧- لَحِقْتُ بِهِ لَمَّا اسْتَبانَ ضَلالُهُ ... كأنّي إليه كُنْتُ بالأمْسِ أهْرُبُ
٨- فما جِئْتُهُ أعْشُو إليه بشُبْهةٍ ... ولا طالِباً مالاً ولا الجَاهَ أطْلُبُ
٩- ولكِنَّني أحْدَثْتُ لله تَوْبةً ... نُقِلَتْ إليها والقُلُوبُ تَقَلَّبُ
١٠- ولم تَكُ بي بَعْدَ البَصيرةِ عَوْجَةٌ ... ولم يَكُ لي بَعْدَ المُهَلَّبِ مَذْهَبُ

٥- العُقُوبة: الاسْمُ من العِقاب والمُعاقَبةِ، وهي أنْ تَجْزيَ الرَّجُلَ بما فَعَلَ سُوءاً. والمَصْقُولُ: المَجْلُوُّ المَشْحُوذُ المَسْنُونُ. والظُّبا: جمع ظُبةٍ، وهي طَرَفُ السَّيْفِ وحَدُّهُ. ويَعْضَبُ: يَسْخَطُ. يريد: فيما يُعاقبُ عليه غيره بالقتل بالسَّيْفِ.

٦- يُعاتِبُهُ: يَلُومُهُ. والمرْء: يعني المُهلَّبَ بنَ أبي صُفْرَةَ. والشَّفيقُ: النَّاصِحُ الحريصُ على صَلاَح المَنْصُوحِ، من الشَّفَقِ والشَّفقةِ، وهي أنْ يكون النَّاصِحُ من بُلُوغِ النُّصْحِ خائفاً على المنصوح. وقيل: هي رحمةٌ ورقّةٌ وخَوْفٌ من حُلول المَكْرُوهِ بهِ مع خَوْفٍ. والنَّصيحةُ: إرادةُ الخَيْرِ للمَنْصُوحِ له.

٧- لحقتُ به: انْضَمَمْتُ إليه ولُذْتُ به. واسْتبانَ: تَبيَّنَ، أي ظَهَرَ واتَّضَحَ. وضَلالُهُ: غَيُّهُ وباطِلُهُ. والهاء لِقَطرِيٍّ.

٨- جِئْتُهُ: أَتَيْتُهُ. وأعْشُو إليه: أقْصِدُهُ، من قَوْلِهم: عَشَوْتُهُ، أي قَصَدْتُهُ ليلاً، هذا هو الأصْلُ، ثم صارَ كلُّ قاصدٍ عاشياً. ويقال: عَشَوْتُ إلى النار، إذا اسْتَدْلَلْتَ عليها ببَصَرٍ ضَعِيفٍ. وعَشَا إلى النَّار، وعَشَاهَا واعْتَشاها واعْتَشَى بها: كلُّه رآها ليلاً على بُعْدٍ فقَصَدها مُسْتَضِيئاً بها. والشُّبْهةُ: الالْتباسُ والاختلاط. وطَلَبَ الشيء: رامَهُ وأرَادَهُ، فهو طالِبُهُ. والجاهُ: المَنْزلةُ والقَدْرُ عندَ السُّلْطان.

٩- تاب إلى الله تَوْبةً: أناب ورَجَعَ عن المَعْصِيةِ إلى الطاعةِ. ونُقِلْتُ: حُوِّلْتُ. وتَقلَّبُ: تَتَقَلَّبُ. يريد أنَّ أهواءَ القُلُوبِ والنُّفُوسِ تَتَغَيَّرُ وتَتَبَدَّلُ من حالٍ إلى حالٍ.

١٠- البَصيرة: المَعْرِفةُ والهِداية. والعَوْجَةُ: المَرَّةُ الواحدةُ من العِوَجِ، وهو المَيْلُ في الرَّأي والقَوْلِ، وأصْلُهُ عِوَجُ الطريقِ، وهو زَيْغُهُ، وعِوَجُ الدِّينِ والخُلُقِ: فَسَادُهُ ومَيْلُهُ على المَثَلِ. والمَذْهَبُ: المُعْتَقَدُ الذي يذهب إليه، أي الهَوَى والمَيْلُ.

٢- وقالَ الصَّلْتانُ العَبْدِيُّ يَنْعَى على الخَوارجِ سَفْكهم لدِمَاءِ المُسْلِمينَ:

الكامل للمبرد ٣: ١٨٣
والحيوان ٣: ٤٧٧
وشرح ديوان الحماسة للمرزوقي ٣: ١٢٠٩
وشرح نهج البلاغة ٤: ١٣٣
ومعاهد التنصيص ١: ٧٣

١- أَرَى أُمَّـةً شَـهَرَتْ سَـيْفَها ... وقَـدْ زِيـدَ في سَـوْطِها الأَصْبَحِـي
٢- بِنَجْدِيَّـةٍ وحَرُورِيَّـةٍ ... وأَزْرَقَ يَدْعُـو إلى أَزْرَقِـي
٣- فَمِلَّتُنَـا أَنَّنَـا المُسْـلِمُونَ ... عَلَـى دِيـنِ صِدِّيقِنَـا والنَّـبِي

١- شَهَرَ فلانٌ سَيْفَهُ: سَلَّهُ، أي أخْرَجَهُ من غِمْدِهِ للقتال، أو انْتَضَاهُ ورَفَعَهُ على النَّاسِ. وقولُهُ: «وقدْ زِيدَ في سَوْطِها الأصْبَحي: فإنه تُسَمَّى هذه السِّياطُ التي يُعاقِبُ بها السُّلْطانُ الأصْبَحِيَّةَ، وتُنْسَب إلى ذي أصْبَحَ الحِمْيري، وكان مَلِكاً من مُلُوكِ حِمْيَرَ. وهو أوَّلُ مَنِ اتَّخَذها، وهو جَدُّ مالكِ بنِ أنسَ الفَقِيهِ، رضيَ اللهُ عنه». (الكامل للمبرد ٣: ١٨٣، وراجع كتاب الأوائل ص: ٦٥، واللسان: صبح). يعني أنَّ الأُمَّةَ اخْتَلَفَتْ واقْتَتَلَتْ بالسَّيْفِ، وصَارَ بَعْضُها يُعاقِبُ بَعْضاً بالسَّوْطِ.

٢- النَّجْدِيَّةُ: تُنْسَبُ إلى نَجْدَةَ بنِ عُوَيْمِرٍ، وهو عامرٌ الحَنَفيُّ، وكان رأساً ذا مَقالةٍ مُفْرَدَةٍ من مقالات الخوارج، وقد بقي من أهْلِها قَوْمٌ كُثيرٌ. وكان نَجْدَةُ يُصَلِّي بمكَّةَ بحذاء عبدِ الله بنِ الزُّبَيْرِ في جَمْعِهِ في كلِّ جُمعةٍ، وعبدُ الله يَطْلُبُ الخلافةَ، فيُمْسِكان عن القتالِ من أجْلِ الحَرَمِ. وقَوْلُهُ: «وأزْرَقَ يَدْعُو إلى أزْرَقي». يريدُ مَنْ كان من أصْحابِ نافعِ بنِ الأزْرَقِ الحَنَفيِّ، وكان نافعٌ شجاعاً مُقَدَّماً في فِقْهِ الخوارج. وله ولعبدِ اللهِ بنِ عبَّاسٍ مسائل كثيرة. (الكامل للمبرد ٣: ١٨٤).

٣- المِلَّةُ: الشَّريعةُ والدِّينُ، وفي الحديث: «لا يَتَوارَثُ أهْلُ مِلَّتَيْنِ». المِلَّةُ: الدِّينُ، كَمِلَّةِ الإسْلامِ والنَّصْرانيَّةِ واليَهُوديَّةِ. وقيل: هي مُعْظَمُ الدين وجُمْلَةُ ما يأتي به الرُّسُلُ. (اللسان: ملل). وقَوْلُهُ: «على دينِ صِدِّيقنا والنَّبي»، «فالعَرَبُ تَفْعَلُ هذا، وهو في «الواو» جائزٌ أنْ تَبْدأَ بالشيءِ والمُقَدَّمُ غَيْرُهُ، قال اللهُ عَزَّ اسْمُهُ: ﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ فَمِنكُمْ كَافِرٌ وَمِنكُم مُّؤْمِنٌ﴾ [التغابن: ٢]. وقال: ﴿يَٰمَعْشَرَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ﴾. [الرحمن: ٣٣]. وقال: ﴿وَٱسْجُدِى وَٱرْكَعِى مَعَ ٱلرَّٰكِعِينَ﴾. [آل عمران: ٤٣]. وقال حسانُ بنُ ثابتٍ:

بَهاليلُ منهم جَعْفَرٌ وابـنُ أُمِّـهِ ... علـيٌّ ومنـهمْ أحْمَـدُ المُتَخَـيَّرُ

يعني بني هاشمٍ». (الكامل للمبرد ٣: ١٨٥).

٤ – أشـــابَ الصَّغِـيرَ وأفْنَـى الكبيـــــرَ مَـــرُّ الغَـــدَاةِ وكَـــرُّ العَشِـــي
٥ – إذا لَيلَـــةٌ هَرَّمَـــتْ يَوْمَـــــها أتَـــى بعـــدَ ذلِـــكَ يـــومٌ فَتِـــي
٦– نَـــرُوحُ ونَغْـــدُو لِحاجَاتِنـــــا وحاجَـــةُ مَـــنْ عَـــاشَ لا تَنْقَضِـــي
٧ – تَمُـــوتُ مَـــعَ المَـــرْءِ حَاجَاتُـــهُ وتَبْقَـــى لَـــه حاجَـــةٌ مَـــا بَقِـــي

٤– شَرَحَ المَرْزُوقيُّ هذا البَيْتَ والبيتين اللذين بَعْدَهُ، فقال: «ذَكَرَ في هـــذه الأبيـــات مـــا تَدُورُ عليه دَوائِرُ الأيام، وصُرُوفُ الأزمانِ، وأنَّها لا تقفُ عند غايةٍ، ولا تَعْرِفُ فيما تَجْري فيه مَقَرَّ نهايةٍ، وأنَّ مِنْ عَادَتِها تَغْيِيرَ الأُمورِ، وفي تَقَضِّيها وقَضَاياها تَحْوِيلَ الأَحْوالِ، فقـــال: إنَّ كُـــرُورَ الأيَّام، ومُرُورَ الليالي والأوْقات، تراها تَجْعَلُ الصغيرَ كبيراً، والكبيرَ حقيراً، وتجعلُ الطفلَ شـــابّاً، والشيخ فانياً، فكلما خَلُقَتْ جِدَّةُ يومٍ جاءَ بعدَها يومٌ آخَرُ فيَ جديدٌ، ونحـــن فيـــها نـــدأبُ في حاجاتنا، فلا نحنُ نَمَلُّ، ولا حاجاتُنا تَفْنَى أو تَقِلُّ، ولا الوقتُ بنا يَقِفُ، ولا واحدٌ منَّا يَنْتَظِـــرُ أو يَتَوَقَّفُ، إذا كان ذو العَيْشِ مآرِبُهُ مُتَّصلةٌ، كما أنَّ أوْقاتَهُ دائرةٌ مُتَتابعةٌ.

ومعنى هَرَّمَتْ يَوْمَها: ضَعَّفَتْهُ مُسْلَماً للزَّوال. ويقال: هو ابنُ هَرْمَةِ أبيهِ، كما يقـــال: هـــو ابنُ عِجْزَةِ أبيه، لآخر الأولاد، كأنه من الهَرَمِ. والهَرْمَى من الخَشَبِ: ما لا دُخانَ له، لِعِتْقِهِ وذَهابِ قُوَّتِهِ. والفَتِيُّ: مَصْدَرُهُ الفَتَاءُ، وضِدُّهُ الذَّكي، ويقال: فَتَاءُ فُلانٍ كذَكاءِ فلانٍ، وكَتَذْكِيَةِ فـــلانٍ». (شرح ديوان الحماسة ٣: ١٢٠٩ــ ١٢١٠).

٧– قالَ المَرْزُوقيُّ: «يقولُ: تَمُوتُ معَ المرْءِ حاجاتُهُ. يريد أنَّ المرءَ مادام حيّاً فمآرِبُهُ وشَهَواتُهُ تَتَجَدَّدُ تجدُّدَ الأوْقات، وأمانِيُّهُ تَتَّصِلُ ما اتَّصَلَ عُمْرُهُ، فإذا جاءَ أجلُهُ، وتَناهَى أمَدُهُ انْتَهَتْ مآرِبُـــهُ، ووَقَفَتْ مَطالِبُهُ». (شرح ديوان الحماسة ٣: ١٢١٠).

٣- وقالَ الطُّفَيْلُ بنُ عامرِ بنِ وَاثلةَ اللَّيْثيُّ يذكُرُ قَتْلَ عَبْدِ ربِّهِ الكبيرِ وأصْحابِـــهِ، وذَهَـــابَ قَطَرِيِّ بنِ الفُجاءةِ في الأرْضِ، واتِّباعَهم إيَّاه، ومُراوَغَتِهِ إيَّاهُمْ، ويَتَّهِمُ قَطَرِيًّا بالكُفْرِ:

تاريخ الرسل والملوك ٦: ٣٠٨

١- لقدْ مَسَّ منَّا عَبْـــدَ ربٍّ وجُنْـــدَهُ عِقَابٌ فامْسَـــى سَـــيْبُهُمْ في المَقاسِـــمِ

٢- سَمَا لَهُمُ بالجَيْشِ حتَّـــى أزاحَـــهُمْ بكرْمَانَ عن مَثْوىً مِـــنَ الأرْضِ نـــاعمِ

٣- ومـــا قَطَـــرِيٌّ الكُفْـــرِ إلاَّ نَعامَـــةٌ طَرِيـــدٌ يُـــدَوِّي لَيْلُـــهُ غـــيرُ نـــائم

١- مَسَّهُ العِقابُ: أصَابَهُ ونَزَل به. ومَسَّهُ بعَذاب: عَاقَبَهُ. وعَبْدُ رَبٍّ: يعني عَبْدَ رَبِّهِ الكبـــير. وكان الأزارقة اختلَفُوا على قطريِّ بنِ الفُجاءةِ وخَلَعُوهُ، وَوَلَّوا على أنفسهم عَبْدَ رَبِّـــهِ الصَّغِـــيرَ، فانْفَصَلَ إليه أكْثَرُ من الشَّطْرِ، وجُلُّهُمُ المَوالِي والعَجَمُ. (الكامل للمبرد ٣: ٣٩٢). وقـــال الهَيْثَـــمُ ابنُ عَدِيٍّ: «واعْتَزَلَ عَبْدَ رَبِّهِ الصَّغِيرُ في أربعةِ آلاف، والصَّغيرُ مُوْلَى بني قَيسٍ [بنِ ثَعْلَبة]، واعْـتَزَلَ عَبْدُ رَبِّهِ الكبيرُ في سبعة آلاف، والكبيرُ مولَى بني يشْكر. فقاتَلَ المُهلَّبُ الصَّغِيرَ، فَقَتَلَـــهُ أيضـــاً». (أنساب الأشراف ٧: ٤٣٦، وانظر الكامل للمبرد ٣: ٣٨٢، ٣٩٣، ٣٩٥، ٣٩٦). والسَّـــيْبُ: العَطاءُ والعُرْفُ والنَّافِلَةُ. والمرادُ النافلة، وهي الغنيمة. والمقاسِمُ: جمع مقْسَم بكسر الميم وفتحـــها، وهي كالقِسْمِ، وهو نصيبُ الإنسانِ من الشيء. يريد أنَّ ما غُنِمَ منهم قُسِمَ بينَ الجُنْدِ.

٢- سَمَا لهم: نهضَ لِقتَالِهِم. وسَمَا فلانٌ لفلانٍ: إذا أشْرَفَ له وقَصَدَ نَحْوَهُ عالياً عليه. يعـــني المُهلَّبَ بنَ أبي صُفْرَةَ. وأزاحهم: أي أبعدهم ونَفاهم. وكرْمانُ بالفتح ثم السكون وآخرُهُ نـــونٌ، وربما كُسِرَتْ، والفتح أشْهَرُ بالصِّحة: ولايةٌ مشهورةٌ، وناحيةٌ كبيرةٌ معمورةٌ ذات بـــلادٍ وقُـــرىً ومُدُن واسعةٍ بينَ فارسَ ومُكْرانَ وسِجستَانَ وخراسانَ. والمَثْوَى: المَنْزِلُ. والناعم: اللَّيِّنُ الطَّيِّـــبُ الوَاسِعُ الحَسَنُ.

٣- قَوْلُهُ: «وما قَطَرِيٌّ الكُفْرِ إلاَّ نَعامَةٌ»: كنايةٌ عن جُبْنِهِ وخَوْفِـــهِ وإمْعانِـــهِ في الهَـــرَبِ. والعرب تَقُولُ: أجْبَنُ من نَعامةٍ، وأشْرَدُ من نعامةٍ، وأصَمُّ من نَعامةٍ، وذلك أنها لا تلْوي على شيءٍ إذا جَفلَتْ، أي لا تَلْتَفِتُ ولا تَعْطِفُ عليه، أو لا تُقيمُ عليه ولا تَنْتَظِرُهُ. والطَّريدُ: الشَّريدُ الـــذي لا يأمَنُ. ويُدَوِّي: يَتَنقَّلُ من مكانٍ إلى مكانٍ، لا يمكُثُ ولا يَسْتَقِرُّ، قال الأصْمعيُّ: دَوْى الكَلْـــبُ في الأرْضِ كما يقالُ: دَوَّمَ الطَّائرُ في السماءِ، إذَا دَارَ في طَيَرانِهِ في ارْتفاعِهِ، أي حَلَّقَ. قال: ولا يكون التَّدْويم في الأرْضِ، ولا التَّدْوِيةُ في السَّماء. قال الجوهريُّ: وبعضُهم يقول: همـــا لغتـــان بمعـــنىً. (اللسان: دوى). وليلُهُ غيرُ نائمٍ: أي لا ينامُ فيه. اللَّفْظُ للَّيْلِ والمَعْنَى لقطريٍّ، أي لا ينام في الليـــل من شِدَّةِ الفزعِ والوَجَلِ.

٤- إذا فَرَّ مِنَّا هارباً كان وَجْهُهُ طَرِيقاً سِوَى قَصْدِ الهُدَى والمَعالِمِ
٥- فليْسَ بِمُنْجِيهِ الفِرارُ وإنْ جَرَتْ بِهِ الفُلْكُ في لُجٍّ من البَحْرِ دَائِمِ

٤- الوَجْهُ: الجِهَةُ والوِجْهَةُ، أي القِبْلَةُ والقَصْدُ والموضع الذي تَتوجَّهُ إليه وتَقْصِدُهُ. والقَصْدُ: الاعْتِمَادُ والأَمُّ وإتيانُ الشَّيْء. والهُدَى: الرُّشْدُ، ضدُّ الضَّلال. والهُدَى: طريقُ الهُدَى، وهو طريقُ الحقِّ. والمَعْلَمُ الأَثَرُ يُسْتَدَلُّ به على الطَّريق. ومَعْلَمُ الطَّريق: دَلالَتُهُ، وكذلك معلم الدِّينِ على المَثَلِ.

٥- المُنْجي: المُنْقِذُ والمُخَلِّصُ. وجَرَتْ: مَخَرَتْ، أي سارَتْ تَشُقُّ الماء. والفُلْكُ بالضَّمِّ: السَّفينةُ، تُذكَّرُ وتُؤَنَّثُ، وتَقَعُ على الواحدِ والاثنين والجميع. ولُجُّ البَحْر: الماء الكثير الذي لا يُرَى طَرَفَاه. والدَّائم: المُتَّصِلُ الذي لا يَنْقَطِع.

(٣)

مَقْطُوعَةٌ وقَصِيدةٌ لِعَوْنِ بنِ عبدِ اللهِ ونَصْرِ بنِ سَيَّارٍ

١- كانَ عَوْنُ بنُ عبدِ اللهِ بنِ عُتْبَةَ بنِ مَسْعُودٍ الهُذَلِيُّ مِنْ أهْلِ الفِقْهِ والأدبِ، وكان مِنْ مُرْجئةِ الجَبْرِيَّةِ. ثمَّ تركَهُمْ وتَبَرَّأ منهم، وانْضَمَّ إلى الشِّيعةِ. وقال ينكر عليهم حُكْمَهُمْ بالجَوْرِ على بَعْضِ المؤمنينَ، واسْتِحْلالَهُمْ لِدِماءِ المُسْلِمينَ:

البيان والتبيين ١: ٣٢٨
والأغاني ٧: ١٣٩

١- وأوَّلُ ما نُفَارِقُ غيرَ شَكٍّ ... نُفَارِقُ ما يَقُولُ المُرْجئُونا
٢- وقالُوا مُؤْمِنٌ مِنْ آلِ جَوْرٍ ... وليسَ المُؤْمِنُونَ بِجَائِرِينا
٣- وقَالُوا مُؤْمِنٌ دَمُهُ حَلالٌ ... وقَدْ حَرُمَتْ دِماءُ المُؤْمِنِينا

١- فارَقَ الشيءَ: بَايَنَهُ. والمُرْجِئَةُ: هم الذين أخَّرُوا العَمَلَ عن الإيمانِ، وأخَّرُوا الحُكْمَ على صاحبِ الكبيرة إلى يوم القيامةِ، وهم أصنافٌ. (انظر مقالات الإسلاميين ١: ١٩٧، ١٩٨، والفرق بين الفِرق ص: ١٢٤، والملل والنحل ١: ١٢٥، وكتابي المرجئة والجهمية بخراسان في العصر الأموي ص: ٢٢.

٢- من آلِ جَوْرٍ: أي من أهْلِ جَوْرٍ، أي ظُلْمٍ.

٣- دَمُهُ حلالٌ: أي مُباحٌ. وحَرُمت: مُنِعَتْ أنْ تُسْفَكَ.

٢- وقالَ نَصْرُ بنُ سَيَّارٍ اللَّيْثيُّ يُسَفِّهُ الحارِثَ بنَ سُرَيْجٍ التَّميميُّ، ويَتَّهِمُهُ بالشِّرْكِ، لأنَّهُ اتَّبعَ مَذْهَبَ مُرْجئةِ الجَبْريَّةِ:

تاريخ الرسل والملوك ٧: ١٠٠

١- دَعْ عنكَ دُنْيَا وأهْلاً أنتَ تارِكَهُمْ ... ما خَيْرُ دُنْيَا وأَهْلٍ لا يَدُومُونَا!

٢- إلاَّ بقيَّةَ أيَّامٍ إلى أَجَلٍ ... فاطْلُبْ مِنَ اللهِ أهْلاً لا يَمُوتُونَا

٣- أكْثِرْ تُقَى اللهِ في الإسْرارِ مُجْتَهِداً ... إنَّ التُّقَى خَيْرُهُ ما كانَ مَكْنُونَا

٤- واعْلَمْ بأنَّكَ بالأعْمالِ مُرْتَهَنٌ ... فكُنْ لِذاكَ كَثيرَ الهَمِّ مَحْزُونَا

٥- إنِّي أرَى الغَبَنَ المُرْدي بصَاحِبِهِ ... مَنْ كانَ في هذه الأيَّامِ مَغْبُونَا

٦- تكونُ لِلمَرْءِ أطواراً فَتَمْنَحُهُ ... يوْماً عِثاراً وطَوْراً تَمْنَحُ اللِّينَا

٧- بينَا الفَتَى في نَعِيمِ العَيْشِ حَوَّلَهُ ... دَهْرٌ فأمْسَى بِهِ عن ذاكَ مَزْبُونَا

٨- تَحْلُو له مَرَّةً حتى يُسَرَّ بها ... حِيناً وتُمْقِرُهُ طَعْماً أحَايِينَا

٩- هلْ غَابِرٌ مِنْ بَقايَا الدَّهْرِ تَنْظُرُهُ ... إلاَّ كما قَدْ مَضَى فيما يُقَضُّونَا

١- دَعْ: اتْرُكْ. ويَدُومون: يَبْقُونَ ويَعِيشُونَ.

٢- الأجَلُ: غاية الوقتِ في المَوْتِ وحُلُولِ الدَّيْنِ ونَحْوِه. واطْلُبْ: اسْألْ.

٣- التُّقَى: التَّقْوَى، وهي حَذَرُ اللهِ ومَخَافَةُ عقابه. والإسرار: السِّرُّ، أي الخفاء. والمُجْتَهِدُ: الجادُّ المبالغ في الأمْرِ. وخَيْرُهُ: أفْضَلُهُ. والمكنُونُ: المَخْفِيُّ المَسْتُورُ.

٤- قوله: «واعْلَمْ بأنَّكَ بالأعْمالِ مُرْتَهَنٌ»: أي مأخُوذٌ بها. (انظر أساس البلاغة: رهن). وكلُّ أمْرٍ يُحْتَبَسُ به شيءٌ فهو رَهِينُهُ ومُرْتَهَنُهُ، كما الإنسان رَهِينُ عَمَلِهِ. والهَم: الحُزْنُ والغمُّ.

٥- الغَبَنُ بالتَّحريك: الضَّعْفُ. والمَغْبُونُ: ضَعِيفُ العَقْلِ والرَّأي والدِّين.

٦- تَمْنَحُهُ: تُعْطيه. والعِثارُ: الشِّدَّةُ والضِّيقُ. واللِّينُ: الخَفْضُ والدَّعةُ، أي سَعَةُ العَيْش.

٧- نَعِيمُ العَيْشِ: رَغَدُه ورَخاؤه. وحَوَّلَهُ: غَيَّرَهُ وبَدَّلَهُ. والمَزْبُونُ: المَدْفُوع الممنوع.

٨- تَحْلُو له: تَطِيبُ وتَعْذُبُ. ويُسَرُّ: يَفْرَحُ. وتُمْقِرُهُ طَعْماً: تُذِيقُهُ مُرَّ العَيْشِ، من أمْقَرَ الشَّراب، إذا مَرَّرَهُ، أي جَعَلَهُ مُرًّا.

٩- الغابِرُ ههنا: الباقي. وتَنْظُرُهُ: تَنْتَظِرُهُ، أي تَرْتَقِبُهُ وتَتَوَقَّعُهُ. ويُقَضُّونَ: يَقْضُونَ، أي يحكمون.

١٠- فامْنَحْ جِهادَكَ مَنْ لم يَـرْجُ آخـرةً ... وكُـنْ عَـدُوّاً لِقَـوْمٍ لا يُصَلُّونـا
١١- واقْتُلْ مُوالِيَـهُمْ منّـا وناصِرَهُمْ ... حِينـاً تُكَفِّرُهُـمْ والْعَنْـهُمُ حِينَـا
١٢- والعَـائِبِينَ علينَـا دِينَنَـا وهُـمُ ... شَـرُّ العِبـاد إذا خَابَرْتَـهُم دِينَـا
١٣- والقَـائِلينَ سَـبِيلُ اللهِ بُغْيَتَنَـا ... لَبُعْـدَ مـا نَكَبُوا عمَّـا يَقُولونـا
١٤- فاقْتُلْـهُمُ غَضَبـاً لله مُنْتَصِـراً ... منـهُمْ بـه ودَعِ المُرْتَـابَ مَفْتُونـا
١٥- إرْجَاؤُكُمْ لَزَّكُمْ والشِّرْكَ في قَـرَنٍ ... فـأنتمُ أَهْـلُ إشْـراكٍ ومُرْجُونـا
١٦- لا يُبْعِدِ اللهُ في الأجْداثِ غَـيرَكُمُ ... إذْ كـانَ دِينُكُـمُ بالشِّـرْكِ مَقْرُونـاً
١٧- أَلْقَى بـهِ اللهُ رُعْبـاً في نُحُورِكـمُ ... واللهُ يَقْضـي لنـا الحُسْـنى ويُعْلِينَـا

١٠- امْنَحْ ههنا: أعِرْ وَهَبْ. والجِهادُ: مُحارَبَةُ العَدُوِّ، وهو المبالغةُ واسْتِفْراغُ ما في الوُسْعِ والطاقة من قَوْلٍ أو فِعْلٍ. ومَنْ لم يرجُ آخرةً: أي مَنْ يُنْكِرُ الآخِرَةَ ويكْفُـرُ بـالبَعْثِ والنُّشـورِ. والعَدُوُّ: خَصْمُكَ الذي يُعاديك، ضدُّ الوليِّ والصَّديق. أي كنْ حَرْباً عليهم.

١١- المُوالي: المُحِبُّ النَّاصِرُ. ونَصَرَهُ: أعانَهُ على عَدُوِّهِ وشَدَّ منه، فهو ناصرٌ. ولَعَنَهُ: طَـرَدَهُ وأبْعَدَهُ من الخَيْرِ.

١٢- عابَ عليه الأمْرَ: نَعاهُ عليه، أي قَبَّحَهُ وشَهَّرَهُ به. وخَابَرْتَهُمْ: اخْتَبَرْتَهُمْ، أي جَرَّبْتَـهُمْ وعَرَفْتَهُمْ على حقيقتهم.

١٣- سَبيلُ اللهِ: طريقُ الهُدَى الذي دَعَا إليه. والبُغْيَةُ: الطِّلِبَةُ. ونكبَ عن الشيءِ: عَدَلَ عنه.

١٤- الغَضَبُ لله: الدِّفاعُ عن دينِ اللهِ تعالى وعن الحقِّ. والمُنْتَصِرُ: المُنْتَقِمُ، يقـال: انْتَصَـرَ منه، أي انْتَقَمَ. والمُرْتابُ: الشَّاكُّ. والمَفْتُون: الضالُّ.

١٥- لَزَّهُ: شَدَّهُ وألْصَقَهُ، أي قَرَنَهُ. والقَرَنُ: الحَبْلُ الذي يُشَدُّ به بَعِيران، أي يُجْمَعُ بينهما فيه.

١٦- أبْعَدَهُ اللهُ: لَعَنَهُ ونَحَّاه عن الخَيْر. يريد أهْلَككم وعَذَّبكُمْ، وهو دعاءٌ. والأجْدَاثُ: جمع جَدَثٍ، وهو القَبْرُ. والمقرون ههنا: المُخْتلِطُ المُلْتَبس.

١٧- قوله: «أَلْقَى بِهِ اللهُ رُعْباً في نُحُورِكم». يريد: أضْعَفَكُمْ وأذَلَّكُمْ. والنُّحـورُ: جمـع نَحْرٍ، وهو الصَّدْرُ. أخذ المَعْنى من قوْله تعالى: ﴿سَأُلْقِي فِي قُلُوبِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱلرُّعْبَ﴾. [الأنفـال: ١٢]. ويَقْضي: يُقَدِّرُ ويُريد. والحُسْنى: الحُسْنُ، أي الخَيْرُ. وأعْلاهُ اللهُ: رَفَعَهُ وشَرَّفَهُ، من العَلاءِ، وهـو الرِّفْعَةُ والشَّرَفُ. يريد: يُقَوِّينا ويُعِزُّنا.

١٨- كَيْما نَكُونَ المُوالِيَ عندَ خائفةٍ ... عمَّا تَرُومُ بهِ الإسلامَ والدِّينا

١٩- وهل تَعِيبُونَ منَّا كاذبينَ بهِ ... غالٍ ومُهْتَضِمٍ حَسْبي الذي فينا

٢٠ - يأبَى الذي كان يُبْلي اللهُ أوَّلَكُمْ ... على النِّفاقِ وما قَدْ كانَ يُبْلينا

١٨- الخائفة: الخَوْفُ، وهو من المصادرِ التي جاءَتْ على فاعلةٍ، مثل العاقبةِ والخائنةِ واللاَّغيةِ والثاغية. وتَرُومُ: تَطْلُبُ وتُريد.

١٩- تَعِيبُ: تَذُمُّ وتَنْتَقِصُ. والكاذب بالشيء: المُكذِّبُ به، أي المُنْكِرُ له غير المُصَدِّق به. والغَالي: المُتَشَدِّدُ المُجاوز للحدِّ، يقال: غلا في الدِّين والأمْرِ، إذا جاوزَ فيه الحَدَّ وأفْرَطَ فيه. وفي الحديث: «إياكم والغُلُوَّ في الدِّين». أي التَّشَدُّدَ فيه ومجاوزةَ الحدِّ. (اللسان: غلا). والمُهْتَضِمُ: المُنْتَقِصُ.

٢٠- يأبى الله: لا يَرْضَى ولا يريد. ويُبْلي: يُهْلِكُ ويُفْني. والنِّفاق: الرِّياءُ، وهو أنْ يظهر الرجلُ غيرَ ما يُبْطِنُ. السياق: يأبَى اللهُ الذي كان يُبْلي أوَّلكم على النِّفاق.

(٤)
قَصِيدَةٌ لأعْرَابِيٍّ

١ ــ كان جَهْمُ بنُ صَفْوانَ التِّرْمِذيُّ* يَقُولُ بالإجبارِ في الأعمالِ، ونَفْيِ الصِّفـــاتِ، وكانَ يَجْلِسُ يوماً يَدْعُو النَّاس إلى مَذْهَبِهِ. فجاءَهُ أعْرابيٌّ، وَوَقَفَ حتَّى سَمِعَ مَقَالَتَـــهُ. فقال يُكَفِّرُهُ ويَنْقُضُ مَقالَتَهُ:

جلاء العينين في محاكمة الأحمدين ص: ٨٠

١ – ألاَ إنَّ جَهْماً كـــافرٌ بـــانَ كُفْـــرُهُ ... ومَنْ قالَ يوماً قَوْلَ جَـــهْمٍ فقـــدْ كَفَـــرْ
٢ – لقدْ جُنَّ جَـــهْمٌ إذْ يُسَـــمِّي إلهَـــهُ ... سَمِيعاً بلا سَـــمْعٍ بَصِـــيراً بـــلا بَصَـــرْ
٣ – عَلِيماً بلا عِلْمٍ رَضيًّا بـــلا رِضـــاً ... لطيفاً بـــلا لُطْـــفٍ خبـــيراً بـــلا خِـــبَرْ
٤ – أيُرْضِيكَ أنْ لوْ قالَ يا جَهْمُ قـــائلٌ ... أَبُوكَ امْـــرُؤٌ حُـــرٌّ خَطِـــيرٌ بـــلا خَطَـــرْ
٥ – مَلِيحٌ بلا مِلْحٍ بَـــهِيٌّ بـــلا بَـــهَا ... طَوِيـــلٌ بـــلا طُـــولٍ يُخالِفُـــهُ القِصَـــرْ

---

* انظر سيرة جَهْمِ بنِ صَفْوانَ ومَقالَتَهُ في كتابي المرجئـــة والجهمية بخـــراسان في العصـــر الأموي ص: ٥٩.

١ ــ بان: ظَهَرَ واتَّضَحَ.

٢ ــ جُنَّ: أصَابَهُ مَسٌّ. السَّمِيعُ: السَّامع. والسَّمْعُ: الأُذُن. والبَصِيرُ: المُبْصِرُ. والبَصَرُ: العَيْنُ.

٣ ــ العَلِيمُ: العالِمُ. والعِلْمُ: المَعْرِفَةُ. والرَّضِيُّ: الرَّاضي، وهـــو الـــذي يُحِـــبُّ عبـــادَهُ ويتقبَّلُ أعمالهم. والرِّضا: المحبَّةُ والقَبُولُ. واللَّطِيفُ: الرَّفيقُ بعبـــاده. والخبير: العالم بما كانَ ومـــا يكونُ. والخِبْرُ بالتسكين: العِلْمُ، وحَرَّكَهُ للضَّرورة. والخِبْرُ والخُبْرُ والخِـــبْرَةُ والخُـــبْرَةُ والمَخْـــبَرَة والمَخْبُرة: كلُّه العلم بالشيء.

٤ ــ أرْضَاهُ: جعله يَرْضَى، أي يُحِبُّ ويَقْبَلُ. والحُرُّ: الشَّرِيفُ الفاضِلُ، من الحريَّةِ، وهي كَرَمُ الأصْلِ. ورجلٌ خطيرٌ: له قَدْرٌ وخَطَرٌ. والخَطَرُ: ارتفاع القَدْرِ والمالِ والشَّرَفِ والمنـــزلةِ.

٥ ــ المَلِيحُ: الحَسَنُ. والمِلْحُ: المَلاحَةُ، أي الحُسْنُ. والبَهِيُّ: الحَسَنُ ذو البَهاءِ. والبهاء: الحُسْنُ. وقيل: المَنْظَرُ الحَسَنُ الرَّائع المالئُ للعيْن. ويُخالِفُهُ: يُفارِقُهُ ويُباينُهُ.

٦ - حَلِيمٌ بلا حِلْمٍ وَفِـيٌّ بـلا وَفَـا ... فبالعَقْلِ مَوْصُـوفٌ وبالجَـهْلِ مُشْـتَهَرْ

٧ - جَوادٌ بلا جودٍ قَوِيٌّ بـلا قـوىً ... كبيرٌ بـلا كِـبَرٍ صَغِـيرٌ بـلا صِغَـرْ

٨ - أمَدْحاً تَـرَاهُ أمْ هجـاءً وسُـبَّةً ... وهُزْءاً كَفَـاكَ اللهُ يـا أحْمَـقَ البَشَـرْ

٩ - فـإنَّكَ شَـيْطانٌ بُعِثْـتَ لأُمَّـةٍ ... تُصَـيِّرُهُمْ عمَّـا قريـبٍ إلى سَـقَرْ

---

٦ ــ الحليم: العَاقِلُ. والحِلْمُ: الأناةُ والعَقْلُ. والوَفِيُّ: الذي لا يَغْدِرُ ولا يَنْقُضُ العَهْدَ. والوَفِيُّ: الذي يُعْطي الحقَّ ويأخُذُ الحَقَّ. والوفا: الوَفاءُ، أي تَرْكُ الغَدْرِ وعَدَمُ الإخلالِ بالعَـهْدِ. والجَـهْلُ: السَّفَهُ والحُمْقُ والطَّيْشُ. والمُشْتَهَرُ: المُفْتَضَحُ، من الشُّهْرة، وهي الفضيحة.

٧ ــ الجَوادُ: السَّخِيُّ الكريمُ. والجُودُ: السَّخاءُ والكَرَمُ. والقَوِيُّ: الشديدُ. والقـوَى بضـم القاف وكَسْرِها جمع قُوَّة، وهي الشِّدَّةُ. والكبيرُ: الطَّاعِنُ في السِّنِّ. والكِبَرُ: مَصْدَرُ الكبير في السِّنِّ. والصَّغِيرُ: الصَّبِيُّ والحدَثُ. والحَدَث، أي فَتِيُّ السِّنِّ. والصِّغَرُ: الصِّبا وحَدَاثَةُ السِّنِّ.

٨ ــ السُّبَّةُ: العارُ والعَيْبُ. والهُزْءُ: السُّخْرية. وكَفاك اللهُ: أي بَيَّنَ اللهُ ما فيـه كِفايـةٌ في الدلالةِ على كُفْرِكَ.

٩ ــ بُعِثْتَ: أُرْسِلْتَ. وتُصَيِّرهم: تَسُوقُهم. وسَقَرُ: اسمٌ من أسماءِ جَهَنَّمَ.